

## هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

### أهمقار

أفتقيمون للحق دليلاً من اقتحام أحد الناس للهب في  
سبيل تعاليمه؟ وهل لمثل هذا التعليم ما للعقيدة التي تولد متقدمة  
من لها نفس. إذا ما تلاقي رأس بارد بقلب مضطرب نشأت  
من التقائهما تلك العاصفة التي يدعوها الناس مخلصاً. ولكم  
وجد على الأرض من رجل أعرق منشأ وأرفع مقاماً بمن  
يدعوهم الشعب مخلصين، وما كان هؤلاء المخلصون إلا  
عاصفات كاسحات تهب متوالية على الأرض

إذا ما كنتم تنشدون سبل الحرية، أيها الآخرة، فعليكم  
أن تنقدوا أنفسكم حتى بمن يفوقون هؤلاء المخلصين عظمة  
ومجداً. فإن الإنسان الكامل لم يظهر على الأرض بعد. لقد  
حدثت باعظم رجل وبأحق رجل عن كتب وهما عاريان  
فظهر العيان متشابهين، بل رأيت أعظمها أشد توغلاً في  
المعائب البشرية من الآخرين.  
هكذا تكلم زارا...

### الفصل

لا ينبه الشعور الغافل إلا الأعداد والأبراق، وما تكلم  
الجمال إلا بنبرات هامسة لا تنفذ إلا إلى أشد الأرواح انقباضاً  
أسمعتني عصمتي اليوم ضحكة تعالت فيها قهقهة الجمال  
السامية. فجألي يسخر بكم، أيها الفضلاء، إذ سمعته يقول:-  
إنهم يطلبون لفضائلهم ثمناً.

إنكم تتقاضون ثمن فضيلتكم وتطالبون بالجزاء، أيها  
الفضلاء، طامحين إلى امتلاك أما كن في السماء، بدلاً من أما كن  
في الأرض، وإلى الظفر بالآبدية بدلاً من الدهر الزائل.  
إنكم لتحقدون على لآتي أعلم الناس أن ليس هنالك

إنه أصاب النصر فانتشى جذلاً  
أن رآه طليق الحكم، فطنى في السماء،  
هكذا قال، الملك، الكافر، برغم ما يشقيه من العذاب  
محتالاً بصول، وإن يكن خطيم النفس باليأس العميق،  
فلم يلبث رفيقه الجريء أن أجاب:-

«مولاي! وأنت زعيم العديد من العتاة متوجين  
قدت إلى الوغى تحت لوائك، السيروفيين، مدججين  
وتهددت رب السماء الدائم بالخطر  
فأقمت الدليل على رفيع جلاله  
سواء أ كان بالحق أم بالخطأ أم بالقدر.  
يا ويح نفسي أن ترى جلياً هذا الخطب الرهيب  
الذي طويحنا فأشجاناً وهزماً فأردانا  
وأضاع منا الجنة، وهويتنا به إلى هذا الخفيض  
يهدنا، ونحن المعشر القوى، هلاك مبيد  
ما بادت الأرباب وكائنات السماء:

فلا يزال الروح والعقل منا عن الهلك في حرز حرير  
وسرعان ما نسترد العنفوان المفقود، وأما المجد فلن يعود  
وسالفت التعميم قد استأصلت الشقاء الموجود.  
ولكن لم لا يكون الله وهو لنا «قاهر»  
( فقد آمنت أنه على كل شيء قادر،

إذ ما كان يستطيع أن يدك قروانا سوى مطلق قدرته )  
لم لا يكون الله قد أبقي على نفوسنا وقوانا،  
فلم ينتقصها ليشتد أذاننا ونضطلع بمر العذاب  
لكي يرضى فينا غيظه الناقم  
أو ليأمرنا بما شاء من فادح الأعمال، فنستطيع الأداء؟  
فقد أمسينا له بحق النصر عبيداً أرقاء،  
إن شاء اصطليتنا النار في قلب الجحيم  
وإن شاء سخرنا في اللج البهيم

فإن أحسننا بالقوة موفورة، فإن في ذلك العناء؟  
وهل أجدى علينا خلود البقاء إلا دوام الشقاء؟

نكي نجيب محمود

وهناك آخرون يتقدمون مثقلين مقرعين كأنهم عجلات تحمل صخوراً إلى الوادى ، وهؤلاء الناس لا يتون يتكلمون عن الفضيلة ، وما الفضيلة في عرفهم إلا عبارة عن كايح عجلاتهم .

وهناك قوم أشبه بالساعات يربط زنبركها فتسمعك تكنتكتها وهم يريدون أن تدعى حركتهم الآلية فضيلة . لاني أهو بمشاهدة مثل هذه الساعات لاني ما صادفتها مرة إلا ربطت زنبركها بتكمتي وأكرهتها على تحريك رقاصها .

وهناك المغترون بذرة من العدل ترتفع فيهم على جبل من الدعوى فتراهم يجدفون على كل شيء إلى أن يفرقوا العالم بظلمهم ؛ وما تخرج كلمة الفضيلة من أفواه هؤلاء الناس إلا وتحسب أنهم يتجشأونها ، وإذا قال أحدهم : - لقد عدلت ، فكأنه يقول : - انتقمتم .

هؤلاء من يريدون أن يبقوا أعين أعدائهم بفضيلتهم وما يطلبون من الاعتلاء إلا إسقاط سائر الناس .

وهناك أيضاً من يدب اليهم الفساد كأنهم ماء آمن في المستنقعات ، يختفون بين المناصب منادين بالفضيلة كأنها جمود في المستنقعات . ف هؤلاء الناس يعلنون أنهم لا ينهشون أحداً ويتحاشون الالتقاء بالناهشين ، فإذا عرض عليهم أى رأى أخذوا به تفادياً لكل أخذ ورد .

وهناك عشاق الحركات المعتقدون بأن الفضيلة نوع من الايمان فتراهم في كل حين جاثين على ركبهم وقد قبضت إحدى راحتيهما على الأخرى تمجيداً للفضيلة وما يدرك قلبهم منها شيئاً . وهناك من يرون الفضيلة في القول بلزوم الفضيلة وهم لا يعتقدون إلا بلزوم ردع الشر بالقوة .

وبعض من امتنع عليهم إدراك ما في الانسان من صفات عليا لا يدركون الفضيلة إلا عند ما يحدثون بما فيه من دنايا وهكذا لا تنشأ فضيلة هؤلاء القوم إلا من عيوب عيونهم .

من الناس من يطلب المعرفة وتقويم ما النوى فيه فيدعو هذه النزعة فضيلة ؛ ومنهم من يطلب قلب كيانه رأساً على عقب فيدعو هذه الرغبة فضيلة أيضاً ، وهكذا ترى الجميع يعتقدون بوجود الفضيلة في فاحية من نواحي كيانهم وتراهم يتجهون إلى معرفة ما فيهم من خير وشر . غير أن زارا قد جاء

لاحسب ولا مثير ، والحق أنى أمتنع عن القول بالثواب بل أذهب إلى أبعد من هذا فأقول أن ليس للفضيلة ما تجزى به نفسها جميل الجزاء .

إن ما يؤلمنى هو أن العقاب والثواب قد دسا دسا في غاية كل أمر ، بل حشراً حشراً في أعماق نفوسكم ، أيها الفضلاء . ولكن اكلمنى أن تشق أعماق هذه النفوس ذاهبة فيها كقرن الوعل وكالسكة تشق الأرض لتحرقها . فلتكشف نفوسكم عن خفاياها أمام النور ، لأن الحقيقة لن تنفصل عن الضلال فيكم حتى تنظر حوا عراة تحت شعاع الشمس . ذلك لأن حقيقة ذاتكم إنما هي أظلم من أن تسمح بتدنسكم بكلمات الانتقام والعقاب والمكافأة والمقابلة بالمثل .

إنكم تحبون فضيلتكم كما تحب الام طفلها ، وهل سمعتم أن أما طلبت مكافأة على عطف الامومة فيها ؟ هل فضيلتكم إلا ذاتكم نفسها وهي أعز ما لكم ؛ وما أمنيكم إلا أمانة الحلقة التي لا تلتوى وتستدير إلا ليصبح آخرها أولاً لها .

إن كل عمل ينشأ عن فضيلتكم إنما هو بمثابة نور كوكب يعرفه الانطفاء ، فما يزال نوره يخترق مجراه في الأفلاك ، وليس من حد ينتهى سيره إليه . وهكذا لن تزال أشعة فضيلتكم سائرة في سبيلها حتى بعد انتهاء عملها وتواريه في عالم النسيان ، لأن إشعاع الفضيلة مستمر لا يعرف زوال . لكن فضيلتكم تعبيراً عن ذاتكم وما تلك غريبة عن هذه فلا تحسبوا أنها جلد ورداء .

هذه هي حقيقة روحكم الكامنة ، أيها العقلاء . ولكن من الناس من يخيل له أن الفضيلة عبارة عن تشنج تحت السياط الجالدة ، ولطالما سمعتم صياح هؤلاء الواهمين .

ومن الناس من يرى الفضيلة في الكسل والريزلة ، وما ينتبه عدلهم إلا عند ما يتشابح حقدهم وحسدهم ؛ عندئذ يفركون أجفانهم وقد أثقلها النعاس .

من الناس من تشدهم شياطينهم إلى أسفل فكلماً تدهوروا على الدركات زادت أحداقهم توجهاً وتزايد شوقهم إلى ربهم . إن صوت هؤلاء المتدهورين يبلغ آذانكم .

أيها الفضلاء وهم يصيحون : - إن كل ما هو خارج عن كياني إنما هو الله وإنما هو الفضيلة .